

المسألة السادسة

الله هو خالق كفر الكفار ومعصية العصاة عند المجبرة

ثم قال عبد الله بن يزيد البغدادي: ثم سلهم عن قول الله، سبحانه، لأم موسى: ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) ﴿١﴾، أقد كان فرعون يستطيع قتل موسى ولا يرده الله إلى أم موسى؟^(٢)

فإن قالوا: نعم، ققلنا: أفليس قد كان فرعون يستطيع أن يخلف الله، تبارك وتعالى، لأم موسى حتى لا يتم الله وعده، ويكون ما وعد أم موسى باطلاً وكذباً؟..

فإن قالوا: نعم، فقد أعظموا القرية على الله، عز وجل، ولا أراك تريد أن توفقهم على أعظم من هذا، ولا أراهم يعطونك هذا، وإن كان كلامهم لا يسقيهم إلا أن يعطوك هذا؛ ولكنهم سينقطعون ولا يجيبونك.

وإن قالوا: إن فرعون لا يستطيع قتل موسى، وهو في يديه، لأن الله وعد أم موسى أن سرده إليها، فكذلك كل خبر وكل وعد أخبر الله، سبحانه،^(٣) به وأوعده، فلا يستطيع العباد رد ذلك، وإن لا يكون منهم غير ذلك.

رد أحمد، وهو يلور حول حرية الاختيار:

قال أحمد بن يحيى، صلوات الله عليهما: إنا نقول إن الهادي إلى الحق، صلوات الله عليه، قد كان أجب على هذه المسألة بما أنا ذاكره، وهو هذا، فافهمه، إن شاء الله، ثم لي جواب - من بعد ذلك - ستقف عليه، والقوة بالله تعالى.

جواب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين (ت ٢٩٨) :

قال، عليه السلام: وأما ما سألت عنه في قول الله، سبحانه، في أم موسى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ (٧) ﴿٤﴾، فقال: هل يستطيع فرعون أن يقتل موسى حتى لا يرده الله إلى أمه، ولا يجعله من المرسلين؟

(٢) بالأصل: أمه، وفوقها مكتوب (أم موسى).

(١)، (٤) سورة القصص: الآية ٧.

(٣) في الأصل: سبحانه.

الله لا يجبر أحداً على طاعة أو معصية،

فقال، عليه السلام؛ إن الله، عز وجل، لو أخرج فرعون - من أكبر المعاصي، بعد الشرك - من قتل نبيه، إخراجاً ومنعه من معصيته منعاً، وقسره على الخروج قسراً، ولوجاز أن يُخرج عدوه من معاصيه قسراً، لكان قد أدخله في ضدها من الطاعة جبراً، ولو كان يخرج المعاصي، من معاصي رب العالمين، لكان عباده المؤمنين أولى^(١) بذلك. ولو أخرج عباده، ومنعهم من معاصيه قسراً؛ لأدخلهم في طاعته جبراً، ولو فعل ٣٦ و/ ذلك بهم؛ لأسقط معنى الأمر والنهي، وكان / العامل دونهم، والفاعل لأفعالهم، تعالى الله عن ذلك، فلم يُطع، سبحانه، كرهاً^(٢) ولم يُعص، جل جلاله، مغلوباً.

إن الله لم يطع كرهاً ولم يعص مغلوباً،

ثم نقول^(٣) في ذلك بالحق، إن شاء الله، فنقول: إن الله، سبحانه، لما علم أنه إذالقى^(٤) على موسى، صلى الله عليه، المحبة^(٥) التي ذكر أنه ألقاها عليه، في قوله: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾^(٦) أحبته^(٧) لذلك امرأة فرعون، فسألت فرعون تركه، عندما همَّ به من قتله، حين تبين له ما كان من فعله^(٨)، فتركه لها وصفح عنه لخبِّ محبتها، واتباع سارها^(٩) فكان ذلك نجاتاً لموسى من ما همَّ به فيه فرعون الكافر الملعون.

فلما أن علم الله، عز وجل^(١٠)، أن ذلك سيكون من اختيار فرعون، وأنه سيختار إجابة مرتبه^(١١) إلى ما طلبت، من ترك قتل موسى^(١٢)، حكم عليه بما علم من صيوره، فكان ما ألقى^(١٣) عليه من المحبة منه، سبحانه، لنجاته، فنجاه، سبحانه^(١٤)، من فرعون، ورجَّعه^(١٥) إلى أمه كي تقرَّ عينها ولا تحزن، فأخبر بذلك^(١٦)، ووعداها

(١) في الأصل: أولاً.

(٢) في رسالة الهادي: ولم يطع، سبحانه، والتي سترمز لها بالتحريف (هـ) مكرها.

(٣) في هـ: بل نقول.

(٤) في هـ: من انصبة.

(٥) في هـ: فلما ألقى عليه المحبة أحبته.

(٦) في هـ: شاورها.

(٧) في هـ: امراته.

(٨) في الأصل: القا.

(٩) في هـ: وردة.

(٤) في هـ: أن علم أنه إذ ألقى.

(٦) سورة طه: الآية ٣٩.

(٨) في هـ: فعله في صغره.

(١٠) في هـ: سبحانه.

(١٢) في هـ: بنى الله.

(١٤) في هـ: الله.

(١٦) في هـ: فأخبر الله في ذلك.

ما وعدھا؛ لعلھما بما سيكون من مرأة فرعون، وطلبھا فی موسى، وإجابة فرعون لها، كما أخبر عما يكون فی يوم الدين .

فھذا معنی ما ذكر الله من ذلك، إن شاء الله، لا مقال ^(١) الفاسقون وذهب إليه الضالون . تم وانقضى ^(٢) كلام الھادی إلى الحق، صلوات الله عليه ^(٣) .

فی الأجمال :

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : ومن الحجّة عليكم أنا نقول : إن الله، تبارك وتعالى، جعل الآجال التي جعلها لعباده، إلى مدّة غير محتومة، ولا ممنوعة ولا محصورة، ممن أرادھا من القائلين، ولو جعلھا محتومة محصورة ممنوعة، ثم اجتمع جميع أهل السموات والأرض، على أن يقتلوا رجلاً واحداً، ما قدروا على ذلك، ولا نالوه أبداً؛ لأنه ليس لما منع الله، عز وجل، قاتل ولا خاتل .

فمن أراد قتل أحد، لم يحل بينه وبينه حائل، إلا بما حرم الله، جل وعز، في كتابه من سفك الدماء، وجاءت به الرسل، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ^(٤)، یعنی نفساً بنفس مثلھا قُتلت، أو بكفر أو بارتداد عن الإسلام، أو بحدٍّ من بعض الحدود الواجبة، لا غير ذلك .

مثال بمن قتل الحسين، عليه السلام، وقتل عبید الله بن زياد :

فنقول لعبد الله بن يزيد البغدادي، ولمن قال بقوله أخبرونا عن قوله : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ ^(٥)، وإنما خلق الله، سبحانه، أفعال القائلين وأرادھا وقضاھا وقدرھا، فی قولكم واعتقادكم، لا فی قولنا ولا اعتقادنا، أفرأيتم من قتل ٣٦ ظ / نفساً / بغير حق، مثل الحسين بن علي، عليه السلام ^(٦)، ومن قتل عبید

(١) فی هـ : قاله .

(٣) انظر رسالة الھادی إلى الحق؛ فی الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد بن الحنفية، ج٢/ ٢٥١-، ٢٥٢ - من رسائل العدل والتوحيد، تحقيق د/ محمد عمارة، ط ثانية، دار الشروق، القاهرة، مصر ١٩٨٤م .

(٤) سورة الأنعام: الآية ٥١ .

(٥) الهامش السابق .

(٦) هو الحسين بن علي بن أبي طالب، ابو عبد الله السبط، ولد سنة ٤ هـ أمه فاطمة الزهراء، وجده رسول الله، ﷺ، وفي الحديث «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» خرج ملبيا لدعوة أهل الكوفة فلقتة جيوش زهاد بن أبيه في كربلاء، وقتلوه شهيداً سنة ٦١ هـ .

الله بن زياد^(١)، عليه لعنة الله، طالباً له بدم الحسين بن علي، عليه السلام، أليس كلاهما إنما قتل المقتول، بما خلق الله، عز وجل، من فعله، وقدره وقضاه وأرادته..!

فإن قلت: لا نقول ذلك. لزمكم أنكم قد رجعتكم عن قولكم، وبان خطؤكم^(٢).

وإن قلت: نعم، كلاهما إنما الله، سبحانه، خلق فعله، وقدره وقضاه وأرادته.

قلنا لكم: فايها الحق وأيها الباطل؟.. فإن قلت: من قتل الحسين بن علي، عليه السلام، هو الحق، كفرتم، وخرجتم من الإسلام، لقول النبي، صلوات الله عليه وعلى آله وسلم،: «الحسن والحسين سيّدَا شباب أهل الجنة، وأبوهما خيرٌ منهما»^(٣).

فإن قلت: بل نقول: قُتِلَ عبيد الله بن زياد، عليه لعنة الله، هو الحق، وقتل الحسين ابن علي، عليه السلام، هو الحرام والباطل والظلم.

قلنا لكم: فقد لزمكم، ووجب عليكم في قولكم هذا، أن بعض خلق الله، سبحانه، وتقديره وقضائه وإرادته باطل، وبعضه حق، لأن كلا الفعلين - زعمتم - إنما هو خلق الله، تبارك وتعالى، وقضائه وإرادته وتقديره، وقد سمعنا الله، عز وجل، يقول في كتابه ﴿يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ (٥٧)﴾^(٤)، زعمتم، أنه يقضى الباطل.

فإن قلت: إن كلا الفعلين حق. لزمكم أن قتل الأنبياء وأئمة الهدى حق!!

وإن قلت: إن كليهما باطل، لزمكم أن قتل الكفار والظالمين باطل!!.. ولا مخرج لكم من هذا، والإقدام عليه هو الكفر.

منع الله فرعون من قتل موسى وأقذر قاتل يحيى!

وكذلك نقول لكم: خبرونا عن منع الله، عز وجل، لفرعون عن قتل موسى، عليه السلام، حتى رده إلى أمه كما وعدّها، أليس في قولكم: إن الله حال بين موسى وبين فرعون قسراً وجبراً حتى لم يُقدر فرعون على^(٥) قتل موسى؟

(١) عبيد الله بن زياد من الشجعان، ولاء عمه على خراسان، ثم ولاء يزيد بن معاوية على البصرة، اعترض على الحسين بن أبي طالب، وقتلته جيوشه، وقتله ابن الأشتر، ثاراً للحسين سنة ٦٧هـ.

(٢) في الأصل: خطاؤكم.

(٣) أخرجه الترمذي ٦١٤/٥ (٣٧٦٨)، وأحمد في مسنده ٣/٣، ٦٢، ٥/٣٩١ - ٣٩٢ وغيرهما.

(٤) سورة الانعام: الآية ٥٧.

(٥) في الأصل: علا.

فإذا قلت: نعم .. قلنا لكم: وكذلك لم يحل بين يحيى بن زكريا وبين من قتله ، وكذلك من قتل جميع الأنبياء ، عليهم السلام !؟

فلا بد لكم من نعم؛ لأنهم قد صبح قتلهم . وشاهد ذلك قوله، عز وجل: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾^(١)، فنقول لكم: اليس فى قوتكم ودينكم أن الله، عز وجل، خلق فعل فرعون وقدره وقضاه وأراده ، وهو الذى منع فرعون قتل من موسى جبراً وقسراً؟!

فإذا قلت: نعم .. قلنا لكم: وكذلك خلق وأراد وقدر وقضى قتل يحيى بن زكريا عليه السلام ، على قاتليه!؟

فإذا قلت: نعم .. قلنا لكم فلا نجد التارك لموسى، ولا القاتل ليحيى ، عليهما ٣٧ و/ السلام، غير الله، عز وجل، على ماتقولون !! لأنه / يقول فى كتابه: ﴿ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾، وقال فى موضع آخر: ﴿ يَقْضُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾^(٢)، وزعمتم ، أن أفعال العباد مخلوقة، فقد سقطت عنهم الحجة؛ لأنهم لا فعل لهم .

لم يخلق الله أفعال العباد !

وإن لا^(٣)، فواجدونا شيئاً نستدل به، ويصح عندنا بعد الاستطاعة المركبة فى العباد، والجوارح السالمة، والحديد الذى قتلوا به، فلا نعرف الله، عز وجل، فى الباب الذى ادعيتم عليه خلقاً، يلزم به لكم حجة، غير الاستطاعة المركبة فى الجوارح، والحديد الذى لا حجة على الله، سبحانه، فيه ، الذى قتلوا به من قتلوا .

وليس تجدون معناً^(٤) غير ما ذكرنا ، يجب به أن الله خلق أفعالهم .

وإن لا ، فإين هذا الخلق الذى لا يرى ولا يسمع، ولا يذاق ولا يشم، ولا يلمس ولا تدركه الحواس ، ولا تقاس بالناس ، ولا تحيط به الاقطار، وليس يعرف بهذه الصفة إلا الله الواحد القهار، الذى لا تدركه الحواس، ولا يقاس بالناس، ولا تحيط به الاقطار!

وإن لا ، فواجدونا هذا الخلق الذى ادعيتم أن الله، عز وجل، خلقه ، غير الاستطاعة المركبة والجوارح السالمة، والحديد الذى قتلوا به الأنبياء، وأئمة الهدى والمؤمنين والكافرين، وليس على الله، تبارك وتعالى ، فى تركيب الاستطاعة فيهم ، ولا خلقه

(٢) سورة الأنعام: الآية ٥٧ ، وفى الاصل: يقضى .

(١) سورة البقرة: الآية ٦١ .

(٣) معنى: وإن قلت: لا، وسيكرها فى بداهة كل دليل على المبررة . (٤) فى الاصل: معناً .

للحديد، حجةٌ ولا علةٌ لمعتل؛ لأنه قد أمرهم ونهاهم، وفي هذا الموضوع تبينُ فضيحتكم، وانقطاع حجتكم، وتفسد دعواكم في قولكم: إن الله، عز وجل، خلق أفعال العباد.

فارونا أين هذا الخلق، الذي ذكرتم، غير ما قلنا!!

فلن يجدوا ذلك أبداً، بوجه من جميع الوجوه كلها، ولا بسبب من جميع الأسباب، وتفسير ذلك، أن الحركة موجودة في بنى آدم، قبل أفعاله، والحركة فهي فرع الاستطاعة المركبة في البنية؛ لأن بنى آدم يجوز عليهم الحركة والسكون، وذلك فعلهم هم، وليس هو فعل الله، عز وجل، وكذلك خلقهم الله، عز وجل، قادرين على الحركة والسكون، مملكين لذلك، مأمورين منهيين، وخلق الجبال، وما أشبهها من الجمادات ٣٧ظ / ساكنة لا حركة فيها، والحركة الموجودة في بنى آدم، هي قبل / أفعالهم.

وهذه الحجة أيضاً تقطعكم، في دعواكم أن الاستطاعة مع الفعل لا قبله، ونحن نقول: إن الاستطاعة قبل الفعل، وهي أصل الحركة التي أتوا بها عليها، وهي موجودة في بنى آدم، قبل أفعالهم (١).

مناظرة بين أبي الهذيل وحفص الفرد:

فإن قلت: إن الحركة ليست بشيء. اجبنناكم بجواب إبي الهذيل (٢) لحفص الفرد (٣)، فإنه بلغنا أن أبا الهذيل، وكان يقول بالعدل، تناظر هو وحفص الفرد في الحركات فأبطلها حفص الفرد، وزعم أنها لا شيء، فقال له أبو الهذيل: يا حفص كم حدُّ الزاني الذي أمر الله به؟ فقال له حفص: مائة جلدة، قال فكم حد القاذف؟ قال: ثمانين جلدة، قال له أبو الهذيل: فأخبرني الحركة هي يد الضارب؟ قال: لا.

قال: فهي جنب المضروب؟ قال لا. قال: فهي السوط. قال: لا. قال أبو الهذيل: يا حفص فقد أعلمتنا أن لا شيء أكثر من لاشئ بعشرين!! فانقطع حفص الفرد.

فكذلك ينقطع عبدالله بن يزيد البغدادي.

(١) تكملة من الهامش.

(٢) أبو الهذيل العلاف من كبار المعتزلة توفي سنة ٢٣٥ هـ / ٨٥٠ م راجع لسان الميزان ٥ / ٣١٤.

(٣) حفص الفرد من المجبرة، الذين ناظروا العلماء قبلاً، وكان معتزلياً، وقال فيه الذهبي، مبتدع. وكفره الشافعي في مناظرته، كما ناظر أبا الهذيل العلاف، انظر الذهبي - ميزان الاعتدال ١ / ٥٦٤.

قال أحمد بن يحيى ، صلوات الله عليهما : وإنما أخبر الله ، عز وجل ، أم موسى ، صلى الله عليه ، برجوع موسى إليها ، لما علم من اختيار فرعون وأنه لا يقتله ، وأنه لا تساعده مرته على قتله .

الأجال غير محتومة :

والآجال على ما قلنا غير محتومة ، والشاهدُ عنى ذلك قول الله ، عز وجل ، يخبر عن نوح ، عليه السلام وقوله لقومه : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴾ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ﴿ (١) ، فنقول لك : أليس ترى أنه قد أوجب لهم أن يبلغوا ذلك الأجل المسمى (٢) ، ما لم يقدموا على المعاصى ، التى توجب تعجيل العذاب من الله ، جل ثناؤه؟!

ألا ترى كيف يقول : ﴿ إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤) ﴿ (٣) ، ألا ترى أنه لم يكن هناك تأخير إلا وثم تقديم ؟ .. ألا تره مُسَمًّى ، وقد هلكوا دونه بإخبار الله ، عز وجل ، فى كتابه؟!

وقد دعاهم ، نوح عليه السلام ، إلى أن يطيعوا الله ، جل ثناؤه ، فيؤخرهم ذلك الأجل ، ألا تره مسمى (٤) لم يبلغوه؟

أو لا ترى نوحاً ، صلوات الله عليه ، لم يكن ليدعوهم ويطمعهم بتأخير أجل الموت ، الذى سماه الله ، عز وجل ، جل ثناؤه ، يقول : ﴿ وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ﴾ (٥) .

فالأجل الذى جعل الله ، عز وجل ، للموت المسمى ، لا يطمع أحد فيه ، وليس له راد ، وقد قال الله ، عز وجل ، فى آية من كتابه يدل فيها على من سلف ، ويؤدب بها من خلف ، وفيها حكمه على الأولين والآخرين ، وهى قوله ، عز وجل ، : ﴿ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ (٦)

(١) سورة نوح : الآية ٣ ، ٤ ، ورد فى الاصل (واعبدوا...) وهو خطأ .

(٢) فى الاصل : المسمى .

(٣) سورة نوح : الآية ٤ .

(٥) سورة المنافقون : الآية ١١ .

(٤) فى الاصل : مسمى ، وكذا كل كلمة مثلها تاتى بعد .

قَالَتْ رَسُولُهُمْ أَنِّي اللَّهُ شَكُّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مَن ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجَكُم إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿١﴾، أفلا ترى أن لهم أجلاً مسماً، قد وعدوا التأخير إليه، فلم يطيعوا الرسل، ولم يقبلوا القول، فلذلك لم يبلغوا بمعصيتهم وكفرهم، ما شرط لهم من بلوغ الأجل، فأخذهم الله، عز وجل، بتعجيل العقوبة، فاحترمهم ^(٢) دون ما سمى لهم لو أطاعوا، ورجعوا إلى دينه، وفي هذا كفاية، والحمد لله.

مثال آخر بتأخير العذاب عن قوم يونس :

ومن الحجة أيضاً قوله، عز وجل، ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ مِنَّا بِفِعْلِهَا إِيْمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ ﴾ ^(٣)، أفلا ترى أن الله، عز وجل، قد كان أعلم يونس، صلوات الله عليه، أن العذاب واقع بهم، فأعلمهم يونس بذلك، فأمنوا بعد انصراف يونس عليهم، فأخر الله عنهم العذاب، بعد ما كان قد حتمه عليهم، فهذا أكبر الدليل، وأوضح شاهد، والحمد لله.

(١) سورة إبراهيم : الآيتان ٩ - ١٠ ، وردت بالأصل ﴿ باتهم لم ﴾ وهو خطأ .

(٢) كلمة مطموسة .

(٣) سورة يونس : الآية ٩٨ .